مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- المركز الجامعي بغليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 06/ العدد: 03 (2020) - ص 128/ 140

تحليل الخطاب في ضوء الدرس اللساني التداولي المعاصر: الخطاب النبوي أنموذجا

Analyze the Speech in light of contemporary Paragmatic lesson : Prophet's speech a Model

حسين بوفناز
جامعة امحمد بوقرة بومرداس/ الجزائر
h.boufenaz@univ-boumerdes.dz

تاريخ الاستلام: 2019/10/04 تاريخ القبول: 2019/10/24 تاريخ النشر: 2020/06/01

ملخص البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في المرتكزات المعرفية للدرس اللساني التداولي المعاصر في ضوء علاقته بمختلف العلوم والمناهج، ومدى نجاعته في استغلال ذلك التلاقح المعرفي في بلورة آليات وإجراءات فعّالة تسهم في تحليل الخطاب وكشف مقاصده وكوامنه.

كلمات مفتاحية: الخطاب، المنهج، المتكلم، اللسانيات التداولية، المتلقي.

ABSTRACT:

This study aims to look in backgrounds and knowledge basis of the pragmatic modern linguistique lesson in the context of its relation with different sciences and methods, and its effectiveness extent. then to exploit that Overlap Knowledge in making mechanisms and procedures to help in speech analysis and baring its aims and contents.

keywords; speech, method,the speaker Paragmatic Linguistique, the listener.

1. مقدمة:

لقد شّكل حقل تحليل الخطاب محور نقاش واسع بين الباحثين والمحلّلين والنقاد رغبةً منهم في الوصول إلى علم أو منهج ينظر في حقيقة ما ينتجه الإنسان من خطابات مهما تنّوعت واختلفت في أشكالها وبنياتها، قصد تفسيرها والكشف عن مقاصدها، وبذلك شهدت الساحة النقدية والأدبية تطورا سريعا فيما يخص استحداث طرق ومناهج جديدة للتوّغل في تحليل الخطاب، تتجاوز الفكرة السائدة في الدراسات البنيوية التي اهتمت بشكل الخطاب على حساب معناه؛ أي جوهر الخطاب وغايته التي يرمي المتكلّم إيصالها إلى المتلقي، حيث لم يعد بالإمكان أن يظلّ تحليل الخطاب منهجا لغويا أو نقديا بمعزل عن غيره.

من هذا المنطلق تفاعلت المناهج وتآلفت فيما بينها حتّى يكون لها الأثر الفاعل، حيث أصبحت تتفاضل فيما بينها عموما من حيث قدرتها على تفعيل أشكال التواصل اللغوي، وعلى هذا الأساس حدث ذلك التكامل المعرفي بين المنهج التداولي وغيره من العلوم النقدية واللغوية، والإنسانية...الخ

وعليه تسعى هذه الدراسة إلى البحث في المرتكزات المعرفية للدرس التداولي المعاصر في ضوء علاقته بمختلف العلوم والمناهج، وما مدى نجاعته في استثمار ذلك التلاقح المعرفي في بناء إجراءات فعّالة تُسهم في تحليل الخطاب النبوي -تحديدا- وكشف مقاصده؟

وللتأكد من فعالية هذا المنهج يتطلّب ذلك وجود نموذج تطبيقي لهذه الدراسة؛ فوقع الاختيار على مجموعة من الأحاديث النبوية مستقاة من كتاب: (الترغيب والترهيب للمنذري)، لتكون نموذجا تطبيقيا لهذه الدراسة، انطلاقا من نظرية "الفعل الكلامي" باعتباره أحد أهم الأسس التّي قامت عليها اللسانيات التداولية في منظومة البحث اللغوي المعاصر.

2. التداولية: النشأة والمفهوم

لقد شكّلت التداولية درسا جديدا وغزيرا لم يمتلك بعد حدودا واضحة، انبثق من التّفكير الفلسفي في اللّغة بيد أنّه سرعان ما تجاوزه ليعمل على صقل أدوات تحليله، وبخاصة التداولية اللّسانية موضوع حديثنا.

فاللسانيات التداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد "سقراط"، ثم تبعه "أرسطو" والرواقيون من بعده، بيد أنّها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظرية للفلسفة إلاّ على يد "باركلي"، تغذيها طائفة من العلوم على رأسها: الفلسفة واللسانيات وعلم النفس وعلم الاجتماع...الخ[1]. ومن العلوم التي غذت الدراسات التداولية على سبيل الذكر لا الحصر ما يلي:[2]

❖ **الفلسفة التحليلية** :هي مذهب فلسفي جديد، استطاع رواده أن يتجاوزوا بمنهجهم المستحدث في معالجة القضايا العالقة في الفلسفة ، متجاوزين الفلسفة التقليدية بتحويل بؤرة الاهتمام إلى اللغة في حد ذاتها، فمن هذا المنهج انبثق الحقل التداولي في الدراسات اللغوية وهو ما يُعرف بـ"الأفعال الكلامية".

❖ **علم النفس المعرفي** :"هذا العلم الذي تجاوز البحث في الأمراض الذهنية؛ إذ أضحى يعنى بالطريقة التي يشتغل وفقها الذهن البشري، وفي هذا الإطار قُدمت بحوث متنوعة لتفسير ذلك، أفادت منها التداولية في "نظرية الملائمة" وفي تفسير العمليات الاستدلالية في إدراك أبعاد الفعل اللغوي. ومن ذلك التفسير الذي قدمه "جيري فودور"؛ إذ بين أنّ اشتغال الذهن البشري اشتغال تراتبي، وتجري فيه معالجة المعلومة الإخبارية مهما كان مصدرها (مرئي أو سمعي، أو لغوي..) عبر مراحل متلاحقة؛ وكل مرحلة منها تقابل مكونا من مكونات الذهن، وهي المحولة والنظام الطرفي والنظام المركزي، والكل يتم في إطار "منظومة" مختصة بمعالجة المعطيات[3].

❖ **المنطق**: المفاهيم الجديدة للمنطق التي تجاوزت دلالات المنطق الصوري المتوارثة؛ لأنه لم يتمكن من تفسير بعض الظواهر التي تطرحها العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بشكل عام والبنية الحجاجية بوجه خاص. بالإضافة إلى مفاهيم وأفكار أخرى ظلّ يفيد منها الاتجاه التداولي في معالجة وإثراء القضايا اللغوية، فهذا الأمر هو الذي جعل صلاح فضل يذكر أنه ذو طبيعة غير تخصصية تغذيه جملة من العلوم[4].

ويعود الفضل في استحداث مصطلح التّداولية في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرس بيرس" حينما نشر مقالتين في مجلة "ميتافيزقيا"، سنة 1978 و1979 بعنوان "كيف يمكن أن تثبت الاعتقاد؟ ومنطلق العلم: كيف نجعل أفكارنا واضحة؟ حيث أكد على أنّ الفكر في طبيعته إبداع لعادات فعلية، ذلك أنه مقرون بقيمتين: متى يتم الفعل؟ وكيف يتم؟ فيكون مقترنا بالإدراك في حالته الأولى وفي الحالة الثانية يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة، ليصل إلى أن الممارسة والتّطبيق والفعل، هي التي تشكل الأساس والقاعدة لمختلف الأفكار[5].

أمّا عن نشأة التداولية وظهورها في الفكر اللساني الغربي الحديث، بحيث أصبحت تياراً موازياً لتيار البنيوية، وتيار التوليدية التحولية، فقد اتفق الدارسون على أن التداولية لم تصبح مجالاً يُعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد؛ هم: "أوستن"، و"سورل"، و"جرايس"، وكانوا جميعاً مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية بإبلاغ مرسل رسالة إلى مرسل إليه يفسرها، وهذا من صميم التداولية.

ولقد عرف مصطلح "التداولية" مدلولات عديدة تقلب بينها منذ ظهوره لأول مرة فقد ظهر مصطلح "pragmatique" انطلاقا من الأصل اليوناني"pragma" الذي يعني العمل ومنه اشتقت الصفة اليونانية "pragmatikos" التي تحيل على كل ما يتعلق بمعاني العمل[6].

أمّا "فانديك" فقد عرّف التداولية ووصفها بأنها علم يساهم بشكل فعّال في التفاعل الاجتماعي والتواصل حيث يقول: «التداولية بوصفها علما يعنى بتحليل الأفعال اللغوية ووظائفها، تهدف إلى الإسهام في الاتصال والتفاعل الاجتماعي»[7].

فقد جعل التداولية علما يبحث في المنطوقات الهادفة إلى إقامة تفاعل اجتماعي، ويبحث عن الوسائل والوسائط والكيفية التي تجعل من ملفوظ ما مساهما فاعلا وفعالا في حل الشفرات المهمة، وفك الطلاسم، وفتح الجسور بين الباث والمتلقين.

أما الباحث اللساني والتداولي(ليفنسون) فيقترح وجوها متعددة في تعريفه للتداولية:[(8)]

- **التعريف الأول:** مستمد من تعريف (تشارلز موريس) في تقسيمه للسيميائية إذ عدت التداولية بذلك دراسة للاستعمال اللغوي، لمجموعة من الأشخاص تربطهم معارف خاصة ووضعية اجتماعية معينة.
- **التعريف الثاني:** فقد ربطه بخاصية الإدراك أو القدرة على فهم بعض الجمل الغريبة أو عدم مقبوليتها، كما عدها من جهة أخرى دراسة للغة في إطارها الوظيفي وهذا يعني الاستعانة باستدلالات غير لغوية لفهم وتفسير البيانات اللغوية.
- **التعريف الثالث:** وذلك من خلال ربطها بالسياق على أساس أنها دراسة لكفاية مستعملي اللغة في ربطهم اللغة بسياقاتها الخاصة.

ومعنى هذا أن التداولية تهتم بدراسة المعنى الكامن في تداول الكلمات بين متكلم ومتلق في سياق محدد، وليس المعنى الكامن في الكلمات وحدها أو المرتبط بأحد مكونات الرسالة اللغوية.

أمّا في تصور رائد التداولية "أوستن" فهي: «جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي»[9]، وفي هذا السياق ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى المستوى الاجتماعي، في نطاق التأثير والتأثر؛ أي أنّ مجال التداولية هو التفاعل والتواصل بين المتخاطبين وكل قول يتلفظ به هدفه إجرائي وتأثيري.

ومن هنا يمكن القول أنّ أشمل تعريف للتّداولية هو«دراسة اللّغة في الاستعمال أو في التّواصل؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلّم وحده، ولا السامع وحده، وإنما يتمثّل في تداول اللّغة بين المتكلّم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي لغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما»[10].

ونتيجة فإنّه يمكن حصر العناصر التي يهتم بها المنظرون للتّداولية في(المرسل وقصده ونواياه، والمتلقّي، والرسالة، والسياق، ثم أفعال اللغة)[11].

أمّا أهم قضايا التداولية التي تحاول الإجابة عنها و هي لُبّ و صميم موضوعها: ماذا نفعل عندما نتكلّم؟ ماذا نقول عندما نتكلم؟ من يتكلم؟ ومن يُكلّم المتكلّم إذن؟ ولماذا يتكلّم على هذا النحو؟ كيف يمكن أن يُخالف كلامنا مقاصدنا؟ ما هي أوجه الاستخدام الممكنة للّغة...؟ ومن أجل تأويل العناصر التي ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف من هو المتكلّم، ومن هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب[12].

فمعتقداتُ المتكلّم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثّقافي ومن يشارك في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين والوقائع الخارجية ومن بينها الظروف الزمكانية، والعلاقات الاجتماعية بين الأطراف هي أهم ما تركز عليه التّداولية[13].

فالتداولية إذن علم تواصلي جديد، يعالج كثيرا من ظواهر اللغة ويفسرها ويساهم في حل مشاكل التواصل ومعوقاته، وممّا ساعدها على ذلك أنّها مجال رحب يستمد معارفه من مشارب مختلفة، فنجده يمتح من علم الاجتماع وعلم النفس المعرفي، واللسانيات وعلم الاتصال والأنثروبولوجيا، والفلسفة التحليلية[14].

3. علاقة التداولية بالتخصصات الأخرى

1.3 علاقة التداولية بالنحو الوظيفي: يعد النحو الوظيفي أهم رافد للدرس التداولي بل أن من الدارسين من جعل الوظيفية في عموم معناها تقابل التداولية من مبدأ أن خصائص بنيات اللغات الطبيعية تتحدد من ظروف استعمالها، كما أنّ النحو الوظيفي المقترح من"سيمون ديك" في السبعينيات يجمع بين المقولات النحو الوظيفي المعروفة وبين ما عرضته نظرية أفعال الكلام[15].

وبالتالي يمكن القول بأن النحو الوظيفي وهو يحدد أهدافه في تحقيق كفاية نفسه كفاية تداولية وكفاية نمطية يقدم دعائم هامة للتغيير التداولي للخطاب وقد اقترح "سيمون ديك" بأن يتم إدراج النحو الوظيفي ضمن تداولية أوسع تجمع نظريات التواصل اللغوي المختلفة[16].

2.3 علاقة التداولية بعلم الدلالة: كان منشأ الإشكالية الأولى نابعا من صعوبة التفريق بين التداولية واللسانيات وضبط حدود مجال دراسة كل منهما، فإن تداخل التداولية بعلم الدلالة مرده إلى أن كل منهما

يتناول المعنى الذي هو زبدة التواصل، وبيان حدود كل مجال على خلفية أن علم الدلالة كما التداولية، وهو يحاول تبيين معنى كلمة، أو عبارة، أو جملة، لا يكون ذلك بمعزل عن العلاقة بالمتكلم ومقاصده وعن السامع الذي يجري فيه الكلام[17].

وهنا يمكن أن يبدو حيّز التداخل بينهما، وأنّ أحدهما يكمل الآخر؛ حيث تعنى الدلالة بتفسير الملفوظات وفق شروطها وقيودها النظامية، وتحدد المعاني الحرفية لها، مع إشارة إلى أدنى مقاماتها، خدمة للنظام اللغوي، لا لمقاصد المتكلّمين...وتُعنى التداولية بما وراء ذلك، فتربط مقاصد المتكلم أو الكاتب، بالبحث عن المقام المناسب، والشروط التّي تضمن نجاح العبارة، وتتجاوز الربط بين معاني الكلمات فيما بينها إلى الربط بين النص كاملا وسياق أدائه[18]. ونكون حينها بين نوعين من المعاني: معنى يستقى من الجمل فيما بينها (مجال الدلالة)، ومعنى يستقى من الوحدة الكلامية كاملة (مجال التداولية)[19].

a. **علاقة التداولية باللسانيات التعلمية:** لقد عرفت التعلمية ثراءً كبيرا في العصر الحديث، باستفادتها من مقولات اللسانيات الاجتماعية السابقة ونظرياتها، ومن البحوث التداولية أساسا، حيث تأكد أنّ التعليم لا يقوم على البنى اللغوية دون الممارسة الميدانية التي تسمح للمتعلم بالتعرف على قيم الأقوال وكميات الكلام، ودلالات العبارات في مجال استخدامها إلى جانب أغراض المتكلم ومقاصده التي لا تتضح إلاّ في سياقات مشروطة[20].

لهذا عُدّ البعد التداولي أحد مناهل العملية التعلمية، إذ تجاوز التعليم مهمة التلقين إلى مهمة تحسين الأداء، وذلك بالاقتصار على تعليم المتعلم ما يحتاج إليه، والاستغناء عما لا يحتاج إليه من أساليب وشواهد تثقل ذهنه.

وهذا ما يؤكده لنا "الجيلالي دلاش" بقوله: « هناك شعار واحد يشغل أهل الاختصاص: الملكة والتبليغ؛ أي تزويد المتعلم أو المتعلمين بالأدوات التي تمكن من التحرك بواسطة الكلام تحركا يلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها، إن الأمر لم يعد يتعلق بتلقين بنية نحوية معينة، بل إنه يتعلق بتوفير الوسائط اللسانية التي تسمح للمتعلم بإجراء اختبار بين مختلف الأقوال وذلك بحسب المقام»[21].

فاللسانيات التداولية قد ساهمت بشكل كبير في بناء التعليم وصناعته، وذلك بانتقاد طرق تدريس اللغات الأجنبية التي تتعامل مع لغات مثالية وأناس مثاليين،في مواقف مثالية، بعيدا عن أي سياق اجتماعي، ودعت إلى تجاوز تدريس أنماط الترميز(القواعد اللغوية...) إلى تدريس أنماط التأثير (طقوس التحاور...)[22].

وبذلك فالتداولية تستند إلى كثير من مكاسب المعرفة الإنسانية المختلفة، ممّا أكسبها طابع التّوسع والثراء في معالجاتها المختلفة للغة؛ وجعلها تتّخذ لنفسها مكانة مهمة بين البحوث، بعدما كانت تعد سلة مهملات للسانيات.

4. نظرية الأفعال الكلامية

إنّ "أوستن" وانطلاقا من نظرية الأفعال الكلامية تصدى لفكرة أنّ اللغة مهمتها وصف وقائع العالم، وأطلق عليها مصطلح المغالطة الوصفية[23]، ويمكن تلخيص فكرته في نقطتين[24]:

الأولى: تتمثل في رفضه ثنائية الصدق والكذب.

الثانية: تتمثل في إقراره بأن كل قول عبارة عن فعل.

فنظرية أفعال الكلام تؤكد أن كل منطوق يخفي في طياته بعدا كلاميا؛ أي الفعل الناتج من القول، فمثلا عندما نصدر أمرا فنحن لم نتحدث بصيغة تضمنت أمرا فحسب بل تم إصدار الأمر وهنا يصبح القول فعلا.

وقد لاحظ "أوستن" أن هناك ألفاظا محيرة مما يدرج في الجمل الوصفية لا تستخدم لتخبر عن الواقع بل تستعمل لتدل على الظروف والملابسات التي وقع فيها حكم مضمون الجملة[25].

وبهذا أدرك "أوستن" أن التمييز بين الأفعال الإخبارية والأدائية ليس بالبساطة التي ظنها، إذ رأى بأن كثيرا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة الأفعال الأدائية، وأن كثيرا مما تنطبق عليه شروط الأفعال الأدائية ليس منها، ليرجع عودا على بدء إلى السؤال:كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا؟[26]، ففي قول القائل: "أنا عطشان" فحقيقة المنطوق فعل إخباري، لكنه أدى وظيفة الأفعال الأدائية، لأنه أدى معنى الطلب، فبدلا من أن يقول: "ناولني كوب ماء" قال: "أنا عطشان".

وبهذا فقد توصل "أوستن" في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم "الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاث أفعال فرعية على النحو الآتي[27]:

أ- فعل القول أو الفعل اللغوي: يراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة"، وفعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المستوي الصوتي ، والمستوي التركيبي والمستوي الدلالي.

ب- الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ إنه عمل ينجز بقول ما، وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها.

جـ- الفعل الناتج عن القول: يرى "أوستن" أنه مع القيام بفعل القول، وما يصحبه من فعل متضمن في القول (القوة)، فقد يكون الفاعل(وهو هنا الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو التسبب في نشوء أثار في المشاعر و الفكر، ومن أمثلة ذلك الآثار: الإقناع، التضليل، الإرشاد...الخ

وبناء على ذلك فالفعل الكلامي له ثلاث خصائص هي:

- إنه فعل دال.
- إنه فعل إنجازي: أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات.
- إنه فعل تأثيري: أي يترك آثار معينة في الواقع خصوصا عندما يكون الفعل موفقا[28].

وعلى الرغم من الانتقاد الذي وجهه بعض الدارسين لتقسيمات (أوستن) السّابقة للفعل الكلامي إلاّ أنّ هذا لم يمنعه من وضع تصنيفا خماسيا للأفعال الكلامية تبعا لمفهوم قوتها الإنجازية على النحو الآتي[29]:

- أفعال الأحكام (الإقرارية): في نحو حكم يصدره قاض أو مسؤول ...الخ
- أفعال القرارات (التمرسية): وتتمثل في اتخاذ قرار بعينه كالطرد والإذن والتعيين.
- أفعال التعهد (التكليفية): تعهد المتكلم بفعل شيء كالوعد والضمان والتعاقد والنذر ...الخ
- أفعال السلوك (الإخبارية): وتتمثل في ردود أفعال لأحداث ما كالاعتذار، والشكر...
- أفعال الإيضاح: وتستخدم لإيضاح وجهة النظر، أو بيان الرأي، مثل: الاعتراض، والإنكار.

ليأتي بعد "أوستن" تلميذه "سورل" ليُحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها نظرية الأفعال الكلامية، حيث يمكن عرض ما جاء به "سورل" على النحو الآتي:[30]

أولا: أكد "سورل" على أنّ "الفعل الإنجازي" هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي وأن للقوة الإنجازية دليلا يسمى "دليل القوة الإنجازية"؛ يبين لنا أنّ الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه بجملة معينة يكون باستعماله لصيغة معينة لها دلالتها الخاصة،كعلامات الترقيم، والتنغيم، والوعد، والأمر...الخ

ثانيا: الفعل الكلامي ليس رهين قصد المتكلم وإنما هو مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي.

ثالثا: طور "سورل" شروط الملائمة وجعلها أربعة، وهي:

- شرط المحتوى القضوي: ويتحقق في فعل الوعد الذي يلزم به المتكلم نفسه في المستقبل.
- الشرط التمهيدي: ويتحقق بقدرة المخاطب على إنجاز الفعل.
- شرط الإخلاص: ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع.
- الشرط الأساسي: ويتحقق بمحاولة تأثير المتكلم على السامع لينجز الفعل.

رابعا: وممّا قدمه "سورل" أنّه أعاد تقسيم الفعل الكلامي بإضافة فعل رابع إلى الأفعال الثلاثة التّي سبق وحددها "أوستن":[31]

- **فعل التلفظ:** (الصوتي والتركيبي والدلالي) على نحو ما فعل "أوستن".
- **الفعل القضوي:** (الإحالي والجملي)، وهو الفعل الرابع الذي أضافه "سورل".
- **الفعل الإنجازي:** على نحو ما فعل "أوستن" أيضا.
- **الفعل التأثيري:** وهو نفس الفعل كذلك الذي سبق وتحدث عنه "أوستن".

وقد جعل "سورل" الأفعال الكلامية خمسة أصناف مثل "أوستن" وهي:[32]

- أفعال الإثبات (الإخباريات): والغرض الإنجازي فيها جعل المتكلم مسؤولا عن وجود وضع للأشياء، وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق أو الكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، وتشمل التأكيد، والوصف...الخ

أفعال التوجيه (التوجيهيات): وغرضها الإنجازي حمل الشخص على القيام بفعل معين، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات وتشمل الأمر والنهي والطلب...الخ

- أفعال الوعد (الالتزاميات): وغرضها الإنجازي التزام المتكلم بالقيام بشيء في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد، وتشمل الوعد والوصية...الخ

❖ التعبيريات: وغرضها الإنجازي هو التعبير عن حالة نفسية، وليس لهذا الصنف من الأفعال اتجاه مطابقة (لا توجد علاقة هنا بين الكلمات والعالم)، وتشمل، الاعتذار والمواساة.

5- الإعلانيات: والغرض الإنجازي فيها إحداث تغيير عن طريق الإعلان، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات، وتشمل: الإعلام، والإخبار، والإعلان.

وإذا كان "أوستن" قد فرق بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأولية، فإن "سورل" ذهب إلى أكثر من ذلك وجاء بتصنيف أوسع عندما ميّز بين الأفعال الإنجازية (المباشرة) و(غير المباشرة):[33]

1 الأفعال الإنجازية المباشرة: وهي التي تطابق قوتها الإنجازية قصد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقا لما يريد قوله، ويدخل هذا في معاني الكلمات التي تكون المنطوق وقواعد تأليفها.

2 **الأفعال الإنجازية غير المباشرة:** وهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فالفعل الإنجازي يتحقق من خلال فعل إنجازي آخر، ففي المثال المشهور الذي قدمه "سورل": هل يمكنك أن تناولني الملح؟ يبدو ظاهر المنطوق استفهاما، ولكن الدلالة لا تشير البتة إلى الاستفهام

إنما تشير إلى الطلب والالتماس. ف "سورل" يشير إلى ضرورة إحكام المتكلم لمنطوقه غير المباشر، حتى يحقق ما يريده من مستمعه، وذلك بمراعاة السياق، وطبيعة العلاقة بينه وبين متلقي الخطاب.

لقد قبل نقاد الأدب فكرة "الأدائية" بوصفها أحد الأشياء التّي تساعد على تمييز خصائص الخطاب/النص، وأكد المنظرون على أننا يجب أن نعنى بما تفعله اللغة مثلما نعنى بما تقوله[34].

وهذا ما دفعنا حقيقة إلى الحديث عن "فكرة الأدائية" وفق الظروف المحيطة بالخطاب النبوي، ومدى نجاعة إجراءات التحليل التداولي من ثمّ في فهم مقاصد لغة هذا النوع من الخطابات، ولإثبات ذلك نمثل بنماذج تطبيقية لمجموعة من الأحاديث النبوية مستقاة –مثلما سبق وأشرنا- من كتاب (الترغيب والترهيب للمنذري).

أولا: الإخباريات (التقريريات): إن الحديث النبوي نص اشتمل على جملة من الأفعال الكلامية التي تصف أحداثا ووقائع حدثت في عهد رسول الله صل الله عليه وسلم، أو في الزمن الذي سبقه، ومن هذه الأحاديث نذكر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: "كان رجل يداين الناس، وكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله عز وجل يتجاوز عنا، فلقي اله فتجاوز عنه"[35]. في هذا الحديث فعل كلامي مباشر هو الإخبار عن قصة رجل في الزمن الماضي كان يداين الناس ويعفو عن معسرهم رجاء أن يعفو الله عنه يوم القيامة، فلقي الله عز وجل في ذلك اليوم فغفر له.

وفعل الإخبار مجسد هنا عن طريق الفعل الماضي: كان، تجاوز، لقي، والأخبار الواردة في هذا الحديث هي: (كان يداين الناس، كان يقول لفتاه تجاوز عن المعسر، لقي الله فتجاوز عنه).

وإذا كانت القوة الإنجازية المباشرة لهذا الحديث هي الإخبار، فإنه انطوى على قوة إنجازية مستلزمة تفهم وتدرك عن طريق مفهوم الموافقة، وهذه القوة هي الترغيب في التيسير على المعسر في الدين، ذلك أن الغرض الإنجازي من سرد هذه الحكاية من طرف الرسول صل الله عليه وسلم على الصحابة ليس من باب الحكي والقص للتسلية، وإنما من باب الحث على معاملة المسلم لأخيه المسلم المكروب معاملة يسر وعفو

حتى يعفو الله عز وجل عنه يوم القيامة. وعليه فإنّ بنية الفعل الكلامي لهذا الصنف من الإخباريات تكون كالآتي:

الفعل الكلامي المباشر هو الإخبار، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي الترغيب والحث

ثانيا: الوعديات: وكما في الإخباريات فقد تنوعت الصيغ اللغوية التي تدل على الوعديات في الحديث النبوي الشريف حيث نجد على سبيل المثال:

عن بريدة رضي الله عنه، عن النبي صل الله عليه وسلم قال: "بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة"[36]. ويدخل هذا الحديث ضمن صنف "الوعديات" حيث يتمثل فعل الوعد فيه في التبشير الذي أمر به الرسول صل الله عليه وسلم للذين يمشون إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة.

إن فعل الوعد جاء مجسدا هنا بواسطة فعل الأمر (بشر)، وهو أمر لا يراد به طلب الفعل على وجه الاستعلاء، ولا يراد به حقيقة الأمر وإنما يراد به إظهار العواقب السعيدة لأولائك المصلين الذين يتصفون بتلك الصفات. أمّا بنية الفعل الكلامي لهذا الحديث فهي:

فعل مباشر هو الأمر: بشر المشائين في الظلم أمّا القوة الإنجازية المتضمنة في فعل الأمر هي الوعد

ثالثا: التعبيريات: ومن أمثلة التعبيريات في الخطاب النبوي نذكر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: "والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل."[37]

في هذا الحديث يخبرنا صل الله عليه وسلم عن أنه يتمنى أن يجاهد في سبيل الله فيقتل، ثم يجاهد مرة أخرى فيقتل ثم ثالثة فيقتل، وفي هذا الإخبار فعل متضمن في القول وهو التمني، وقد عبر عنه بقوله "لوددت" وهو ما يزيد من درجة التمني ، فالفعل وددت جاء مقترنا بلام الابتداء التي هي لام التوكيد، أي توكيده صل الله عليه وسلم على تمني الجهاد والاستشهاد، كما نلحظ التكرار الذي يدعم فعل التمني، حيث كرر جملة (ثم أغزو فأقتل) ثلاث مرات، وهو فعل إنجازي

غرضه الحث والترغيب في الجهاد. وعليه فإن البنية القولية لهذا الفعل الكلامي:

الفعل المباشر:هو التمني (لوددت)، والقوة الإنجازية لفعل التمني هي الحث والترغيب

رابعا: التوجيهيات

- **الأمر:** وقد كثرت الأحاديث النبوية المشتملة على فعل الأمر وما يخرج إليه، فجاءت صيغه دالة على الوجوب وفق الأصل الموضوع لها أحيانا، وأحيانا أخرى دلت على المعاني المستلزمة منه، وفي كتاب الترغيب والترهيب يواجهنا كم هائل من هذا النوع، نذكر منه على سبيل المثال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صل الله عليه وسلم قال: "ليأكل أحدكم بيمينه، وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه، وليعطي بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله،ويشرب بشماله، ويعطي بشماله، ويأخذ بشماله"[38]. فقد اشتمل هذا الحديث على جملة من الأوامر التي طلب الرسول صل الله عليه وسلم من المسلمين القيام بها، وهذه الأوامر هي: (ليأكل أحدكم بيمينه، ليشرب بيمينه، ليأخذ بيمينه، ليعطي بيمينه). أما عن الوسائل اللغوية المستعملة للدلالة على فعل الأمر هنا، فهي الفعل المضارع المقرون بـ لام

الأمر (لام الطلب)، والغرض الإنجازي من الأمر هنا هو مخالفة الشيطان في تلك الأمور، فالشيطان يستعمل شماله ونحن مطالبون بمخالفته فنستعمل اليمين.

❖ **النهي:** والنهي ينتمي إلى صنف الأفعال الكلامية التوجيهية، وقد كثر مجيئه في الأحاديث النبوية، ومن أمثلة ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة"[39]. يوجهنا رسول الله صل الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى تلاوة القرآن في البيوت، وخاصة سورة البقرة، مستعملا النهي بصيغة الفعل (لا تفعلوا)، أي النهي عن جعل البيوت مقابر، وبذلك فإنّ بنية الفعل الكلامي ههنا تكون كالآتي:

فعل كلامي مباشر (النهي): لا تجعلوا بيوتكم مقابر. أمّا الفعل الكلامي المستلزم فيتمثل في الإرشاد، أي إرشاد العبد وتوجيهه إلى الاتجاه الذي يطابق فعل النهي.

❖ **الاستفهام:** ومن الأحاديث المشتملة على الاستفهام التوجيهي:

عن مصعب بن سعد رضي الله عنه قال، رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلا عن من دونه، فقال رسول الله صل الله عليه وسلم: "هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم ؟ "[40]

الاستفهام في هذا الحديث غير حقيقي، فالرسول صل الله عليه وسلم لا يستفهم عن شيء ليحصل عنده نقش في الذهن، وإنما استفهامه هنا جاء من باب التقرير، أي تقرير حقيقة مفادها أن النصر والرزق سببه ضعفاء المسلمين.

وفي الحديث توجيه منه صل الله عليه وسلم غرضه نهي كبار الصحابة من التفضل على من دونهم، فبين لهم أن من يعتقدونهم أدنى الناس هم في حقيقة الأمر السبب في النصر والرزق. ومن ثم تكون بنية الفعل الكلامي لهذا الحديث:

الفعل المباشر: استفهام، في حين أنّ الفعل المستلزم هو: التقرير الذي غرضه النهي والتوجيه

❖ **النداء:**

عن أنس رضي الله عنه قال: سار رجل مع النبي صل الله عليه وسلم، فلعن بعيره، فقال النبي صل الله عليه وسلم: "يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون"[41].

يندرج هذا الحديث ضمن الأفعال التوجيهية، ففيه توجيه عن طريق أسلوب النداء إلى عدم السير مع الركب على بعير ملعون، وهذا التوجيه جاء في شكل نهي (لا تسر). فبنية الفعل الكلامي في هذا الحديث تكون كالآتي:

الفعل المباشر هو النداء للتنبيه (يا عبد الله لا تسر)، أمّا الفعل المستلزم فهو النهي

خامسا: الإيقاعيات (الإعلانيات):

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تبكي: وا جبلاه، وا كذا، وا كذا، تعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قلت شيئا إلا قيل لي: أنت كذلك؟ فلما مات لم تبك عليه.[42]

الفعل الإيقاعي بارز في هذا الحديث، فقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: "ما قلت شيئا إلا قيل لي: أنت كذلك؟" أوقع تغييرا في العالم الخارجي، فبعد أن كانت أختك تبكي وتنوح عليه توقفت عن ذلك بمجرد سماعها لقوله، فالإيقاع هنا هو من الصنف الذي ينشأ عنه الكف عن الفعل، ذلك أن الوسيلة اللغوية المستخدمة هنا هي : الاستفهام الذي يولد الإنكار. في حين أنّ بنية الفعل الكلامي:

الفعل المباشر هو الاستفهام (أنت كذلك ؟)، والفعل غير المباشر يتمثل في الإنكار، بينما الفعل الناتج عن القول: إيقاع فعل الكف بعدم البكاء

5. نتائج الدراسة: وعلى ضوء ما سبق تناوله يمكننا تحديد نتائج هذه الدراسة في الآتي:

- لقد ظهر حقل التداولية في الدراسات المعاصرة، من أجل إعادة الاعتبار للظروف التي ينشأ فيها الحدث الكلامي، وذلك بجعل ظروف المقام والسياق من بين الشروط المهمة والأساسية في نجاح العملية التواصلية بين المرسل والمتلقي؛ وذلك بتفعيل دور اللغة في التواصل.
- أهم ما ركزت عليه الأبحاث التداولية في مجال فهم الخطاب والتخاطب هو النظر إلى الأداء الكلامي ضمن السياق، إذ لم يعد ذلك الأداء متعلقا بفهم اللغة في وصفها موضوعا مستقلا عن الممارسة بل لتمييزها وتفسيرها وفقا لتحديد الاستعمال اللساني، وهو ما لم يستطع البنيويون الوصول إليه لانحصارهم في ثنائية اللغة والكلام.
- تسعى التداولية إلى فهم الخطابات وتأويلها، فهذا اهتمامها بالدرجة الأولى فهي ترتكز على الخطاب، والمخاطِب، والمخاطَب، وعلى السياق والمقصدية التي يسعى المخاطَب الوصول إليها.
- إنّ اللسانيات التداولية ملتقى لمصادر أفكار وتأملات مختلفة يصعب حصرها إضافة إلى تداخلها مع علوم أخرى مما جعل مجالها ثريا وواسعا وغالبا ما يكون عسيرا يجعل الباحث يتيه في فروعها المعرفية وذلك بالنظر إلي طبيعة المنشأ الذي قامت عليه فهو منشأ فلسفي بالدرجة الأولى.
- تعتبر الأفعال الكلامية النواة المركزية للتداولية، ويعتبر الفعل الكلامي الإنجازي المحور الذي تدور حوله نظرية أفعال الكلام التداولية عند كل من (أوستن) و(سورل).
- من المبادئ التي لها دور هام في اللسانيات التداولية فتسهم في نجاح الأفعال اللغوّية الإنجازية المباشرة وغير المباشرة وكذا ضبط المعنى في نظرية أفعال الكلام غير المباشرة نجد: القصد والإفادة والسّياق والمتكلّم والسامع.
- نجاح الخطاب التداولي مرهون بامتلاك المخاطِب كفاءة تواصلية ولغوية وحجاجية تتحدد أساسا في مهارة التحليل، ومهارة التعبير والعرض المنظم للأفكار، ومهارة فهم الآخر وحسن توجيهه ومن ثمّ إقناعه، وهذا ما بدا جليا في خطبة (أكثم بن صيفي).
- تنوعت الأفعال الكلامية في كتاب " الترغيب والترهيب" حيث سجلنا حضورا للأصناف الخمسة من إخباريات ووعديات وتعبيريات وأفعال التوجيه وأفعال الإيقاع.

❖ كثيرا ما يخرج الخطاب النبوي الشريف عن معناه المباشر الحرفي إلى المعنى المستلزم منه، فصيغ الأمر و النهي و الاستفهام و النداء تأتي في أحاديث الترغيب و الترهيب لتفيد أفعال متضمنة فيها كالكراهة والندب والإغراء والإنكار والتوبيخ والتحقير والتسلية والتعجب والإباحة والتعليم والنصح .

هوامش البحث

[1] نعمان بوقرة، (2009)، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، ص 163.

[2] خديجة بوخشة، (دت)، محاضرات في اللسانيات التداولية، ص20.

[3] آن ربول، جاك موشلار، (2003)، التداولية اليوم علم جديد للتواصل، تر: سعد الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، ص 73.

[4] صلاح فضل، (1992)، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص24.

[5] ينظر: الزاوي بغورة، (2007)، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة، التأسيس والتجديد، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس، العدد03، المجلد35، ص199.

[6] جواد ختام، (2016)، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص 13.

[7] محمود أحمد نحله، (2002)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، ص11.

8 إدريس مقبول، (2006)، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، عمان، الأردن، ط1، ص 263-264.

[9] راضية خفيف بوبكري، (2004)، التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقاربة نظرية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب، دمشق، سوريا، المجلد34، العدد399، ص56.

[10] محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص14.

[11] نعمان بوقرة، (2006)، التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون، مجلة الرافد، ص 83.

[12] محمد خطابي، (1991)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، بيروت، المركز الثقافي،ط1،ص297.

[13] عبد الحميد مصطفى السيد، (2004)، دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد، عمان، الأردن، ط1، ص120.

[14] ينظر، نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، مرجع سابق، ص 160-163، ومسعود صحراوي، (2005)، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي, دار الطليعة للطباعة والنشر,, بيروت، ط1، ص17.

[15] أحمد المتوكل، (1988)، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، منشورات عكاظ ،الرباط ،المغرب، ص8-9.

[16] أحمد المتوكل، (2001)، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية "بنية الخطاب من الجملة إلى النص" دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، ص16.

[17] نوراني السعودي، (2009)، في تداولية الخطاب الأدبي ، بيت الحكمة،العلمة ،الجزائر، ط1، ص22.

[18] فان دايك، (2001)، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، ص116.

[19] خليفة بوجادي، (2009)، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ،بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر ، ط1، ص130.

[20] المرجع نفسه، ص133.

[21] الجيلالي دلاش، (1992)، مدخل إلى اللسانيات التداولية ترجمة محمد حياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، ص46.

[22] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص 133-134

[23] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص43.

[24] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص 22.

[25] جون لانكشو أوستين، (2008)، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، ص14.

[26] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 45.

[27] علي خفيف، (2008)، شعرية الخطابة العربية أطروحة دكتوراه في تحليل الخطاب، إشراف عبد المجيد حنون، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر.

[28] ينظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص41-42-43.

[29] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص46.

[30] المرجع نفسه، ص47-48.

[31] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص99.

[32] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص49-50.

[33] بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، مرجع سابق، ص164.

[34] جونثان كولر، (2003)، مدخل إلى النظرية الأدبية، ترجمة مصطفى بيومي عبد السلام، إشراف جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، الجزيرة، القاهرة، ط1، ص135.

[35] المنذري زكي الدين عبد العظيم ، (2011)، الترغيب والترهيب، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، ج1، ص 374.

[36] الترغيب والترهيب ، المرجع نفسه، ص 129.

[37] الترغيب والترهيب، المرجع نفسه، ج 2، ص 172.

[38] الترغيب والترهيب، المرجع نفسه، ج 1، ص 34.

[39] الترغيب والترهيب، المرجع نفسه، ج 3، ص 30.

[40] الترغيب والترهيب، المرجع نفسه، ص 31.

[41] الترغيب والترهيب، المرجع نفسه، ص 294.

[42] الترغيب والترهيب، المرجع نفسه، ج 4، ص 148.